مجلة الذاكرة

المجلد: 09 / العـدد: 02 /جوان (2021)، ص 29- 42

مبارك بن محمد الميلي ومنهجه في رسالة الشرك ومظاهره

Mubarak bin Muhammad al-Mili and method in his to the" message polytheism and it manifestations"

د.فريدة مقلاتي

جامعة عباس لغرور خنشلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

meguellati.farida@univ-khenchela.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/11 - تاريخ القبول: 2021/05/10 - تاريخ النشر: 2020/06/01

الملخص: يعد "مبارك بن محمد الميلي" من أهم أعلام الفكر والإصلاح في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، وبخاصة أنه ينتمي إلى جمعية العلماء المسلمين، وله إسهامات معتبرة في الجانب التاريخي والديني، بالإضافة إلى إشرافه على تحرير البصائر وإدارتها سنة 1935م، وتميزت كتاباته الصحفية بدقة التحليل وعمق التفكير، وقد طرق موضوعات لها علاقة بالواقع وبهموم الناس الثقافية، والدينية، والتاريخية، بمعنى أنه ركز على الكتابة في قضايا العصر قضايا تهم الشعب الجزائري، ولكن "رسالة مظاهر الشرك" وموضوعها يتعدى الإطار الوطني ليتخذ صبغة إسلامية؛ لأن مضمونها يهم كل فرد مسلم.

الكلمات المفتاحية: مبارك الميلي، الفكر، الإصلاح، البحث، الكتابة، الإسلام.

Summary: Mubarak bin Muhammad al-Mili is considered one of the most important figures of thought and reform in Algeria in the first half of the twentieth century, especially that he belongs to the Muslim Scholars Association, and has had significant contributions in the historical and religious aspect, in addition to his supervision of editing and managing "albasayir" in 1935 AD, and his journalistic writing was precisely distinguished. nalysis and depth of thinking, and he presented topics related to reality and people's cultural, religious and historical concerns, meaning that he focused on writing on contemporary issues issues of concern to the Algerian people, but the "message of manifestations of polytheism" and its topic goes beyond the national framework to take on an Islamic character; Because its content is of interest to every Muslim individual.

Key words: Mubarak El-Mili, thought, reform, research, writing, Islam.

مقدمة:

تميزت الحقبة التي عاصرها "مبارك الميلي" بتفشي الجهل والخرافات نتيجة لسيطرة الاستدمار الفرنسي، والطرقية، ولكن ذلك لم يمنعه من طلب العلم، والاستزادة منه بالمطالعة والقراءة، والاتصال بالعلماء؛ إذ كان من « ... أكبر تلاميذ الأستاذ ابن باديس ومدرسته علما وفضلا وكفاءة، وأحد علماء الجزائر وبناة نهضتها العربية الإصلاحية الأفذاذ...»[1] وهذا يعني أنه من أهم رجال الفكر الإصلاحي في الجزائر؛ إذ يغلب عليه الطابع الذهني والروح الدينية، فقد كان له دور في الكتابة والتأليف، ونشر العلم ومحاربة الجهل، والحث على الأخلاق الكريمة، والتمسك بالدين والعلم، وبخاصة أنه كان على قناعة تامة أن العلم والدين أساس رقي أي أمة من الأمم؛ لذلك راح يدافع عن الكتاب والسنة، ويحث على طلب العلم، وقد تجلى تأثيره على الحياة الفكرية، والحركة الإصلاحية بشكل كبير وواضح فمن هو مبارك الميلي؟ وما هي أهم الإسهامات العلمية التي قدمها لأمته؟ وبماذا تميزت كتاباته الفكرية والإصلاحية؟ وما طبيعة المنهج الذي اتبعه في كتابة رسالة مظاهر الشرك"؟

أولا- سيرة حياته:

1- نشأته وثقافته وسيرة حياته: هو مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي، ولقب أسرته الميلي نسبة إلى مدينة الميلية التي نشأ في دائرتها، وكان جده الأول رابح من أعيان القرية البارزين، وأمه تركية بنت أحمد بن فرحات حمروش.[2] ولد سنة (1898م/ 1316هـ) تقريبا في "دوار أولاد أمبارك" من قرى الميلية من أحواز قسنطينة[3]، ونشأ بالبادية، وفي بداية حياته توسم فيه والده وجده النجابة والصلاح وقوة الشخصية فاعتنيا بتربيته، وتوفي والده وهو في الرابعة من عمره فكفله جده رابح، وعمل على غرس روح العقيدة الإسلامية في نفسه، ثم توفيت أمه فأصبح بذلك يتيم الأبوين، فنشأ في حجر جده وجدته في بيت الغنى والعز، والمجد فكان ذلك سببا في نبوغه في العلم.[4]

التحق وهو في عمر ست سنوات بكتاب القرية ليحفظ القرآن، وقد سر جده سرورا عظيما بنبوغ حفيده في حفظه[5]، وختمه على يد الشيخ "أحمد بن الطاهر مزهود" بجامع سيدي عزوز الواقع بقرية أولاد مبارك[6]، وتلقى الدروس العلمية الابتدائية على يد الشيخ "محمد بن معنصر الميلي" الذي لازمه وتأثر به [7]، وبعد ذلك التحق بدروس العلامة "ابن باديس" بالجامع الأخضر، ومنه استمد الأفكار الإصلاحية، كما أخذ أيضا عن المفكر "عثمان بن الخوجة"، و"محمد النخلي" والشيخ "الصادق النيفر"، و"محمد بن القاضي"[8]، وبعد أن « بلغ من العلم ما أهله إلى التعليم العالي فبعث به [ابن باديس] إلى تونس ليتلقى عن كبار علماء جامع الزيتونة...»[9]. وهذا يعني أنه التحق بالمصدر الأصلي الذي أخذ عنه أستاذه عبد الحميد بن باديس، وهناك التقى بالشيخ "العربي التبسي"، والشيخ "محمد السعيد الزاهري"، والشيخ "عبد السلام السلطاني" وغيرهم[10]، وقد قضى ثلاث سنوات في جامع الزيتونة فكان مثالا للطالب المكب والمجتهد في طلب العلم، ورجع بشهادة "التطويع" سنة 1924م[11].

وبعد عودته من تونس « كلف بالتعليم والإدارة للمكتب العربي بقسنطينة، وهو الأصل الأول لمدرسة التربية والتعليم سنة 1925، وكان من مؤسسيه الشيخ عمر الجيجلي...ولما كان بقسنطينة أسست المنتقد ثم الشهاب فتولى عبء التحرير فيهما وإنشاء المقالات التي كان لها دوي كبير، مرة بإمضائه الصريح، وأخرى بإمضاء "بيضاوي"، وثالثة دون إمضاء مما أحدث "ثورة" كبيرة في الوسط...»[12]. كما اقترح فكرة إنشاء مطبعة عربية تطبع المخطوطات وتنشر الصحف والمجلات.[13] ولم يستقر في قسنطينة بل انتقل إلى الأغواط في بداية عام 1927 إذ أنشأ مدرسة جمع حولها أبناء الشعب، ومكث في الأغواط بضع سنين[14]، ولما أسست جمعية العلماء انتخب عضوا في مجلس إداراتها وأمينا لماليتها، فعاد على إثر ذلك إلى ميلة ليكون قريبا من الشيخ "ابن باديس"، كما أسس بميلة "مدرسة الحياة" ومسجدا تولى خطابته والتدريس فيه، ثم أسندت إليه رئاسة تحرير جريدة البصائر[15]، فأحسن الإدارة، وصخر قلمه في خدمتها إلى أن قررت الجمعية إيقافها عام 1939م بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية.

ولما توفي ابن باديس – في 16 أفريل 1940م– أشرف مبارك على الدراسة العلمية للطلبة حتى نهاية السنة الدراسية؛ لأن الإبراهيمي كان منفيا في منطقة " آفلو" ونظرا لتدهور صحته أسندت مسؤولية الدراسة إلى الشيخ العربي التبسي فانتقل مقر الدراسة – مؤقتا– إلى مدينة تبسة حتى 1946م.[16] وقد تدهورت صحته ودخل في غيبوبة يوم 8 فبراير 1945 فأخذ إلى ميلة، وبعدها توفي عن عمر يناهز 49 عاما، وقد أبنه باسم العلماء الرئيس محمد البشير الإبراهيمي، وباسم الهيئات الوطنية السيد عباس فرحات زعيم حزب البيان.[17]

وبذلك كرس هذا المفكر، والمصلح –مبارك الميلي– جل حياته لخدمة الدين والعلم والوطن، وأصبح مفخرة من مفاخر الأمة الجزائرية في تلك الحقبة؛ لأنه يعكس بشكل واضح جهد ونشاط أبناء هذه الأمة الحية وإخلاص رجالها الأخيار.

2– مكانته العلمية: اكتسب الشيخ "مبارك الميلي" مكانة متميزة في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر؛ إذ استعان به ابن باديس في جريدة المنتقد (1925م) التي تميزت بسلاسة الأسلوب ومتانة اللغة، وعمق الأفكار إضافة إلى لهجتها الحارة والصادقة ضد الخرافات والبدع، وكان ذلك بفضل خيرة الأقلام العربية في تلك الحقبة[18]، وقد أشادت بمكانته وعلمه العديد من الشخصيات المعروفة منها شكيب أرسلان بقوله: «وأما "تاريخ الجزائر" فوالله ما كنت أظن في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أعجبت به كثيرا، كما إني معجب بكتابة ابن باديس، فالميلي و"ابن باديس" و"العقبي" و"الزاهري" حملة عرش الأدب الجزائري الأربعة».[19] وقال عنه "محمد الصالح الجابري التونسي" :«...وما إن تخرج من الزيتونة وتحصل على شهادتها حتى انضم إلى الدعوة الإصلاحية وباشر المهمة التي أوكلت إليه في مجالي التعليم والإرشاد، ولازم شيخه ابن باديس واقتبس منه الوفاء للمبادئ والمثل، وعزف مثله عن الوظيف الرسمي والتمس في

طلبه الغاية التي تمحض للقيام بها، وقد ظل هذا ديدنه، وشغله الشاغل في قسنطينة أو في الأغواط، أو في ميلة وغيرها من المدن الجزائرية»[20].

وقال فيه "البشير الإبراهيمي": «...فقدته الجزائر ...ففقدت بفقده مؤرخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور، وإنارة جوانبه المظلمة، ووصل عراه المنفصمة، وفقدته المحافل الإصلاحية ففقدت منه عالما بالسلفية الحقة عاملا بها صحيح الإدراك لفقه الكتاب والسنة واسع الإطلاع على النصوص والفهوم، دقيق الفهم لها، والتمييز بينها والتطبيق لكلياتها، وفقدته دواوين الكتابة ففقدت كاتبا فحل الأسلوب، جزل العبارة، لبقا بتوزيع الألفاظ على المعاني طبقة ممتازة في دقة التصوير والإحاطة بالأطراف وضبط الموضوع والملك لعنانه، وفقدته مجالس النظر والرأي ففقدت مدرها لا يبارى في سوق الحُجة وحضور البديهة وسداد الرمية والصلابة في الحق...»[21].

وقال عنه أحمد توفيق المدني: « لقد كان من رجالنا المعدودين، وكان من بناة قوميتنا المذكورين، وكان من الذين خلدوا أسماءهم بأعمالهم الجليلة، وجهادهم الموفق في صفحات التاريخ الوطني الحافل الثري... ولقد رأيت فيه يومئذ خلالا جعلته في نظري المؤرخ الصادق،... صبر على البحث، وغلو في التحقيق والتدقيق، ومهارة منقطعة النظير في المقابلة بين النصوص، ونظرة صائبة في استجلاء الغوامض، وحكم صادق في أسباب الحوادث ونتائجها، ومهارة في الترتيب والتبويب، وحسن سبك يجعل التاريخ كله كالسلسلة المفرغة »[22].

وقال عنه أحمد حماني: « كان... العلامة الجليل الشيخ مبارك بن محمد الميلي أكبر تلاميذ الأستاذ ابن باديس ومدرسته علما وفضلا وكفاءة، وأحد علماء الجزائر وبناة نهضتها العربية الإصلاحية الأفذاذ، وأول من ألف للجزائر باللغة العربية والعاطفة الوطنية تاريخا قوميا وطنيا نفيسا وسَمَه ابن باديس (أنه أحيا به الأمة) ومن أحيا نفسا واحدة "فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"[23] فكيف بمن أحيا أمة؟؟»[24]. كما ذكر "أحمد حماني " أنه نشر عددا من « المقالات في المنتقد ثم في الشهاب هاجم فيها الانحراف في الدين أو السياسية، وهو الذي صرح ضد فكرة الاندماج والاندماجيين بأن الاندماج هو موت حقيقي ... »[25]، وبالتالي فهو رفض فكرة الاندماج، وفضل المحافظة على الشخصية الوطنية، وذلك بالتركيز على الدين والثقافة، والفكر الإصلاحي كسدود منيعة ضد أي فكر يمكن أن يطمس الهوية، ويقود إلى تشظي الذات.

وقال عنه تلميذه الشيخ "أبو بكر الأغواطي": «عرفنا من الأستاذ مبارك الميلي رحمه الله صفات قل بيننا اليوم من يتصف بها، وهي التي جعلت منه علما من أعلام نهضتنا ورجلا من خيرة رجالنا، تلك هي حب العمل والجد، وتحمل الأعباء والمصابرة على تحقيق أهداف عليا، وكلها ترجع إلى متانة خلقه وصدق عزيمته، وسداد تقديره ومحكم تدبيره»[26]. وقد أشاد بعلمه بعض المعاصرين مثل عبد الملك مرتاض بقوله: « يعد مبارك بن محمد الميلي من أكابر مؤرخي الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين وتاريخه يجب أن يعد مفخرة من مفاخر الأمة الجزائرية في ذلك العهد؛ لأنه يدل على نشاط أبناء هذه الأمة وعمل رجالها

المستمر...» [27]. تدل هذه الشهادات وغيرها على المكانة المتميزة التي احتلها "الميلي" في الجزائر، وفي الوطن العربي، نظرا لعلمه وغيرته على دينه ووطنه، وبخاصة أنه كان من دعاة المحافظة على القومية والشخصية الوطنية.

3- مؤلفاته: لم يترك العلامة مبارك الميلي آثارا كثيرة، ومن مصنفاته:

* تاريخ الجزائر في القديم والحديث كتبه خلال إقامته بمدينة الأغواط (1927-1933) والذي بذل فيه جهدا جبارا؛ لأن طبيعة التأليف تختلف عن كتابة مقال صحفي[28]، وأتم جزأين منه، وهدفه من هذا المصنف ما حدده في مقدمته بقوله: « إن المتعلمين اليوم من أبناء الجزائر قطعوا الصلة بينهم وبين ماضيهم، فجهلوا ما فيه عن عز وذل ونعيم وبؤس ومدنية وهمجية وسيادة وعبودية... ترى المتعلم في المدارس يعرف من تاريخ بعض الأمم الأجنبية ما يجدر به أن يعلم مثله عن تاريخ شعبه، ولا يحسن منه تقديمه عليه فكيف بالاقتصار عليه والاكتفاء به؟ إن النسبة بين التاريخين: الشعبي والأجنبي مثل النسبة بين الضروري والكمالي... ولقد بلغت الحال ببعض هؤلاء المتعلمين أن صار ينظر إلى جنسه نظر المؤرخ إلى ما قبل التاريخ فإذا دار الحديث على الشعوب وقسطها من الحياة وأفضى إلى قومه رأيته – من جهله بتاريخهم- يستدل على حياة الماضين بحياة الموجودين...»[29]، وقد حاول «كتابة تاريخ وطني تتمازج فيه الأحداث التاريخية مع الوطنية المكافحة، وقد سار على منوال الشيخ عثمان الكعاك الذي رسم الخطوط الأولى للتاريخ الوطني الجزائري في كتابه الموسوم بموجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي الصادر سنة 1925»[30]. ولكنه توقف عند ابتداء الدور العثماني، وشغله عن إتمامه أعمال جمعية العلماء الكثيرة إضافة إلى توالي أزمات المرض، حيث أصيب بداء السكري[31]، ولكنه قد أضيف إلى الأجزاء السابقة الجزء الثالث الذي اهتم بالدور العثماني وذلك بقلم محمد الميلي نجل مبارك الميلي.[32]

* رسالة الشرك ومظاهره، وهي عبارة عن سلسلة من المقالات نشرها في جريدة (البصائر) في عهدها الأول، وطالت بطول الموضوع، فاقترح عليه القراء جمع هذه المقالات في كتاب، وبذلك جمعها في كتاب له قيمته العلمية[33]، وقد عدها الشيخ العربي التبسي «في أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصر السنن وإماتة البدع، تقر بها عين السنة والسنين، وينشرح لها صدور المؤمنين، وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين من جهلة المسلمين ومن أحمرة المستعمرين الذين يجدون من هذه البدع أكبر عون لهم على استعباد الأمم فيتخذون هذه البدع... مخدرا يخدرون بها عقول الجماهير وإذا تخدرت العقول وأصبحت تروج عليها الأوهام وجدت الأجواء التي يرجوها غلاة المستعمرين للأمم المصابة برؤساء دينيين أو دنيويين يغشون أممهم ويتاجرون فيها»[34] .

كما ترك مبارك الميلي مجموعة من المقالات المنشورة في الصحف العربية الجزائرية المختلفة منها جريدة المنتقد 1925 التي اتجهت إلى الإصلاح الديني ومحاربة الخرافات والبدع، وقاومت أفكار الفرنسة

والتغريب، وكان مبارك من خيرة الأقلام العربية التي ضمها ابن باديس إليها[35]، وجريدة الشهاب– قسنطينة (1925–1939) والتي اقتفت آثار سابقتها مبادئا وأفكارا، مضمونا وشكلا، ونظرا للأزمة المالية تحولت إلى مجلة شهرية راقية تؤرخ للحركة الفكرية الجزائرية ما بين الحربين العالميتين، ولها الفضل في بعث الثقافة العربية الأصيلة في الجزائر وحماية المقومات الذاتية بها، وآخر عدد لها في شهر أوت 1939م.[36]

وكذلك جريدة "وادي ميزاب" الجزائر (1926–1929) التي كانت تسعى إلى «تكوين الأمة تكوينا صحيحا من حيث الأخلاق الفاضلة، والتفكير الصحيح، وبث روح الوئام على خطة الإسلام ضمن الكتاب والسنة...»[37]. كما أنها كانت تشجع الإنتاج الفكري العربي الجزائري فرحبت بالمواهب الشابة، والكتاب الذين تمرنوا على الكتابة من أمثال، مبارك الميلي، عمر بن قدر، المولود الحافظي الأزهري وغيرهم.[38] كما نجد أيضا جريدة البرق قسنطينة 1927 التي انضم إليها مبارك الميلي وكان يمضي مقالاته باسم مستعار "بيضاوي"، وقد كرست جهودها لتدعيم الحركة الإصلاحية التي بدأتها جريدة المنتقد، وكان شعارها "خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال".[39]

كما شارك بقلمه أيضا في جريدة الإصلاح. بسكرة، ثم الجزائر– (1927–1948) الداعية إلى تحطيم الخرافات وهدم الأوهام، وذلك لتنوير الأفكار وتهذيب الرأي العام، وقد أثارت على صفحاتها قضية التجنيس والتفرنج، فكتب مبارك الميلي مقالا بعنوان "في الكتاب وقضية التجنيس".[40] شارك أيضا بمقالاته في جريدة المغرب (الجزائر 1930–1931)، والبصائر– الجزائر، وهي من أهم صحف جمعية العلماء، وأكثرها انتشارا وشهرة، وقد أطلق هذا الاسم على السلسلة الأولى التي صدرت ما بين (1935–1939) وأطلق على السلسلة الثانية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ما بين (1947–1956)، وكان شعارها "قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ"، وقد اهتمت بالحركة الإصلاحية وتطوراتها داخل الجزائر وخارجها حيث فتحت صدرا واسعا للأقلام الإصلاحية المغربية، كما أنها التزمت بنشر الإنتاج العربي الفصيح في نماذجه الراقية وأساليبه البيانية العالية، ومن بين الكتاب الذين كانوا ينشرون فيها إنتاجهم الفكري، والشعري باستمرار من بينهم: الشيخ مبارك الميلي في سلسلته الطويلة "الشرك ومظاهره"[41]، وغيرها.

وقد اهتم في مقالاته بالفكرة والعمل على توصيلها بأسلوب صريح ومباشر مع الاهتمام باللغة من حيث مفرداتها وأصالتها وقدرتها على تبليغ الأفكار، بالإضافة إلى عنايته ببعض خصائص الأساليب العربية والبيان العربي دون الاهتمام بجمال التعبير وصياغته صياغة يهدف من خلالها إلى تحقيق اللذة الأدبية؛ لأن كتاباته تدخل في إطار الكتابات الإصلاحية التي يغلب عليها الطابع الذهني والروح الدينية الواضحة[42]. وترك أيضا مجموعة من الرسائل الخاصة تزيد عن "مائتي رسالة" فيها الودية والعلمية ذات الوزن في التحقيق والتدقيق، وفيها الأدبية، والتاريخية التي تشير إلى عهد من العهود الخاصة أو تثير تساؤلات حول شخصيات معينة[43]. ونعاين من خلال ما سبق أن "مبارك الميلي" كان له فضل كبير على اللغة العربية

والإسلام والتاريخ، نظرا للجهد الذي بذله في سبيل تحرير وطنه من كل ظلم واستبداد وجهل وبدع، وتدليس من المغرضين.

ثانيا- رسالة الشرك ومظاهره: جثم الاستدمار الفرنسي على صدر الأمة الجزائرية لسنوات طويلة، وبالتالي فقد مرت عليها «أحقاب متطاولة ساد فيها الجهل والخرافات، واستغلهما الفريقان الأمراء والرؤساء الروحيون فعاشت الأمة الجزائرية طيلة هذه الأحقاب بين فكي الجهالة والفوضى الدينية تتقاذفها أمواج من الفتن، وتتدافعها أعاصير من الشرور»[44]، ولكن أبناء هذه الأمة رفعوا لواء التحدي؛ إذ برزت جمعية العلماء «داعية إلى ما أمر الله أن يدعى إليه من دينه ومن إتباع نبيه، وإحياء سنته، وإماتة ما أحدثه المحدثون، تدريسا وكتابة في الصحف ومذاكرة في كل مجلس حسن فيه الكلام عن نشر السنن...»[45]، ويعد مبارك الميلي « من تلك الفئة التي تعتقد أنها مسؤولة أمام الله عن الفساد في الأرض ومعنى هذا أن له ضميرا دينيا شديد الإحساس يهتز لرؤية أدنى فساد ويغتم لأدنى تقصير في تغييره»[46]، وهذا ما قاده إلى تحمل المسؤولية وذلك بتأليف "رسالة الشرك ومظاهره".

وتعد هذه الرسالة من أهم المؤلفات التي تطرقت إلى الإصلاح الديني ومحاربة الخرافات والبدع، في تلك الحقبة، فكانت بذلك « رسالة جامعة لأهم النقط التي يدخل منها ليل البدع على نور السنن.. .وسيفا مصلتا على أعداء السنن المعروفين في الجزائر من المتعيشين بهذه البدع والعوائد الضالة »[47]. وبذلك فهي سعت إلى نصرة السنة وإماتة البدع التي يجد فيها أذناب الاستدمار أكبر عون لهم في السيطرة على الأمم واستعبادها، إذ يتخذونها كمخدر يخدرون بها عقول الجماهير، وإذا تخدرت العقول أصبحت فريسة سهلة لزرع الأوهام فيها[48]. وعليه فهو قد سعى من خلال هذه الرسالة إلى نصرة السنن وإماتة البدع، وتبيان المنهج السلفي الصحيح والذي يتمثل في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.[49]

1- أسلوب المؤلف في عرض مادة الرسالة: تعد "رسالة الشرك ومظاهره" من أهم كتب "مبارك الميلي" بعد كتاب "تاريخ الجزائر القديم" وقد تناول في الكتاب الأول تاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي، وتناول في الكتاب الثاني الحقبة الإسلامية إلى غاية وصول القبائل الهلالية إلى إفريقيا، أما الكتاب الثالث تحدث فيه عن العصر البربري، والكتاب الرابع الذي ألفه نجل مبارك تحدث فيه عن الأتراك. أما رسالة الشرك تتضمن عدة فصول مرقمة من 1-30 وكل فصل له عنوان يبين طبيعة القضية التي يطرحها أو نوعية البدعة التي خصها بالتعريف والتحليل ثم تبيان الحكم الشرعي، وقد صدرت هذه الرسالة بتحقيق "أبي عبد الرحمن محمود" عن دار الراية بالرياض عام 1422هـ[50].

2- **التعريف بالرسالة:** لا يوجد اختلاف حول تسميتها لدى رجال الفكر والإصلاح في الجزائر فقد ذكرها البشير الإبراهيمي[51]، وأحمد حماني[52]، والعربي التبسي[53]، وغيرهم تحت عنوان "رسالة الشرك ومظاهره"،

وقد اعترف العلماء بقيمة هذا الكتاب واتخذوه مصدرا يؤخذ منه ويعول عليه في الثانويات والجامعات العلمية بتونس والجزائر، وغيرهما[54].

3- **العنوان:** انتشرت البدع والخرافات في المجتمع الجزائري إبان الاحتلال، وكانت أكبر عون على استعباد الشعب، فكتب الميلي عدة مقالات بهذا العنوان "الشرك ومظاهره" «في جريدة البصائر في عهدها الأول وطالت بطول الموضوع، فاقترح عليه كثير من القراء أن يجمعها في كتاب فاستجاب لذلك»[55]، وجمعها في كتاب، وأبقى على العنوان الأصلي الذي نشر به المقالات.

4- تاريخ التأليف: كما أشرنا سابقا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات في موضوع الشرك ومظاهره، والتي نشرها في جريدة البصائر في عهدها الأول؛ أي بين (1935-1939) وبعدها جمعها في كتاب ووسمه بـ "رسالة الشرك ومظاهره".

5- الغرض من تأليف الرسالة: غرضه من تأليف هذه الرسالة هو بيان الشرك ومظاهره، ويتجلى هذا في قوله: «إذا كان الاحتياجُ إلى معرفة الشرك شديدًا؛ كان تعريف الناس به أمرًا لازمًا أكيدًا، وإذا كان الباعثُ على هذا التعريف إقامةَ العقيدة، فهو من النصيحة المفيدة الحميدة، وليس الإرشادُ إلى الخير النافعِ بأولى من التنبيه على الباطل الضار؛ بل كلاهما غرضٌ حسَن وسَنَن لا يَعدِل عنه الساعون، وهذا ما حمَل المصلحين المجدِّدين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التوحيد، وتخليصه من خيالات المشركين»[56]، ويضيف أيضا قائلا: « وغرَضُنا من الخوض في حديث الشرك تحذيرُ المسلمين منه، لا الحكمُ عليهم به تعيينًا! نحن بالعقيدة السلفية قائلون، وما نحن إلا وعَّاظ مرشدون، ولم ندَّعِ أننا حكَّام منفِّذون...» [57]. نعاين من أقوال مبارك أن غرضه من تأليفها تبيان مواطن الشرك وآثاره السلبية على المجتمع، وتجلية أهمية التوحيد في تطهير القلوب وإرشاد العقول ونقد الأخلاق وتعديلها، وهي الأسس التي تحفظ الحياة وتضمن السيادة.

5- **الطبعات:** توجد عدة طبعات منها:[58]

* طبعة أشرفت عليها المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة سنة 1356هـ- 1938م، وهذه الطبعة كانت في حياة المؤلف وهي من أحسن الطبعات وأتمها.

* طبعة نشرتها مكتبة النهضة الجزائرية سنة 1386هـ- 1966م.

* طبعة نشرتها دار البعث بقسنطينة سنة 1982- 1984.

* طبعة دار الراية للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية بتحقيق أبي عبد الرحمن محمود، ط1، 1422هـ - 2001م.

6- منهجه في رسالة الشرك ومظاهره: تميزت رسالة الشرك ومظاهره بعدة خصائص منها طبيعة الموضوع وطرق عرضه والإبانة عنه، فهذه الرسالة حسب تصور "مبارك الميلي" جاءت في موضوع بور، وعلى أسلوب بكر، وقد بين منهجه في قوله: « ولم أحتذ فيما كتبت إلا ما تخيله فكري، ولم أنسج فيما

جمعت على منوال غيري...»[59]، فهو اعتمد على ما تخيله فكره، وعمد إلى جَرْد مظاهر الشرك بالاستدلال والتحليل.

7- موضوعات رسالة الشرك ومظاهره:

-1 - الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره./ -2 -الغرض من بيان الشرك ومظاهره.

-3 -الرجوع في بيان الشرك إلى الكتاب والسنة./ -4- تنزيل الآيات النازلة في قوم على أشبه حالتهم اليوم./ -5- ذرائع الشرك وطبائعه.

-6 -معنى الشرك وأقسامه./ -7- الشرك في قوم نوح عليه السلام.

-8-الشرك في قوم إبراهيم عليه السلام./ -9-الشرك عند العرب.

-10 -العبادة والنسك./ -11- التبرك وسد الذرائع./ -12-آثار الشرك في المسلمين./ -13-الولاية./-14-الكرامة./ -15-التصرف في الكون./ -16-علم الغيب./ -17-الكهانة، وما حكمها؟/ -18-السحر./-19-الرقية والعزيمة.

-20 -التميمة./ -21- المحبة./ -22 - الدعاء./ -23- الوسيلة./ -24- الشفاعة.

-25- الزيارات والمزارات./ -26- الذبائح والزردات./ -27- النذرة والغفارة.

-28- اليمين./ -29-هداة الشرك وحماته./ -30إلى الدين الخالص/ قصيدة العقبي، وتأثيرها على الأمة./31- خاتمة الأمر المعروف، والنهي عن المنكر.

وقد عمد "مبارك الميلي" في موضوعاته إلى تقديم التعريفات اللغوية لمصطلحات مظاهر الشرك، ثم التعريف الشرعي، وبعد ذلك يعمد إلى التحليل ويستعين بالاستشهاد بالآيات والأحاديث، والاحتجاج بأقوال العلماء، وسرد بعض الأحداث التاريخية، وذكر بعض القصص الواقعية، وذلك لتبيان مظاهره وحُماته وتحديد مخاطره، ثم يقدم كيفية المعالجة والقضاء عليه في سبيل تخليص المجتمع من سطوته، وتدليسه للحقائق، والهدف من كل ذلك حماية الفرد والمجتمع.

ونلاحظ أن المنهج الذي اتبعه "الميلي" في طرحه يستقيم مع طبيعة الموضوعات التي طرحها، وبخاصة أنه يبدأ بتبيان حد كل موضوع؛ أي يقدم اضاءات مفاهيمية لكل مصطلح بهدف تحقيق الإبانة والوضوح والإفهام، ثم يعمد إلى التحليل فمثلا في موضوع "معنى الشرك وأقسامه" حدد أولا معنى الشرك في اللغة، ثم معنى الشرك في الشرع، فوضح بذلك حد الشرك، ثم انتقل إلى تبيان أقسامه والتي حددها في أربعة أقسام، وقد اعتمد في تحديدها على القرآن الكريم؛ لأنه استنبطها من سورة سبأ الآية 22-23 ، ثم بين آراء العلماء في هذا الموضوع، فأورد رأي "أبي البقاء الحنفي" الذي قسم الشرك بدوره إلى ستة أقسام، ثم حكم على هذه الأقسام بالتفاوت قوة وضعفا من حيث الظهور والخفاء، ثم أصدر حكمه بقوله:« نعوذ بالله من جملة الشرك وتفصيله قويه وضعفيه جليه وخفيه»[60]، ولتدعيم تصوره يستشهد بالآيات القرآنية وبأحاديث

الرسول الكريم، كما أورد بعض الأشعار، وبذلك فهو قد أحاط بالموضوع من كل النواحي وذلك لإقناع المتلقي بخطورة الشرك، فهو إثبات شريك لله سبحانه وتعالى، وهذا يعد كفرا. وقد اتبع النمط نفسه مع باقي الموضوعات وذلك لكشف الحقيقة للمتلقي، وحمايته من الانزلاق في مخاطر الكفر .

ثالثا- خاتمة: يمكن القول أن "مبارك بن محمد الميلي" أسهم بشكل كبير في نشر الوعي والتعليم في أوساط الجزائريين، وذلك بفضل علمه ووعيه بأهمية المعرفة والثقافة في محاربة الجهل، والضلالة، والخرافات المنتشرة في الأسر الجزائرية، ومؤلفاته خير دليل على عمق تفكيره، وبراعة أسلوبه في طرح كل ما له علاقة بالناحية الدينية، والتاريخية للأمة الجزائرية، وذلك من أجل سد أفواه المغرضين والخائنين والحاقدين على هذه الأمة، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها ما يأتي:

-كرس -مبارك الميلي- جل حياته لخدمة الدين والعلم والوطن.

-اعتراف بعض الشخصيات بالمكانة المتميزة التي احتلها "الميلي" في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، وفي الوطن العربي، نظرا لعلمه وغيرته على دينه ووطنه، وبخاصة أنه كان من دعاة المحافظة على القومية والشخصية الوطنية.

-اهتم "مبارك الميلي" في مقالاته بالفكرة وباللغة؛ لأنها تمنح الفكرة صفة التجلي والوضوح؛ لذلك يعمد إلى اختيار أحسن الألفاظ لتبليغ الأفكار، بالإضافة إلى عنايته ببعض خصائص الأسلوب، لأن كتاباته يغلب عليها الطابع الذهني والروح الدينية فهدفه هو التوجيه والإصلاح.

- ترك مؤلفات منها كتاب "تاريخ الجزائر القديم" و"رسالة الشرك ومظاهره"، ومجموعة من المقالات المنشورة في الصحف العربية الجزائرية المختلفة منها جريدة المنتقد 1925 التي اتجهت إلى الإصلاح الديني ومحاربة الخرافات والبدع.

-تميزت رسالة الشرك ومظاهره بعدة خصائص منها طبيعة الموضوع وطرق عرضه والإبانة عنه، فهذه الرسالة حسب تصور "مبارك الميلي" جاءت في موضوع بور، وعلى أسلوب بكر، وألفها لتحديد معنى الشرك، ومظاهره ومخاطره، وكيفية المعالجة والقضاء عليه في سبيل تخليص المجتمع من سطوته وتدليسه للحقائق، والهدف من كل ذلك حماية الفرد والمجتمع.

رابعا-قائمة المصادر والمراجع:

1-إبراهيم أبو اليقظان، مقال بجريدة البصائر، العدد الأول، 1935/12/27م.

2-آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م

3- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث للنشر، دط، 1984م

4- أحمد صاري، شخصيات وقضايا في تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرادية، الجزائر، دط، 2004م.

5–عبد الرحمن الجيلالي، من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي، مجلة الثقافة عدد.80

6–علاوة عمارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر،
مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد3، ديسمبر .2008

7 – عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830– 1974، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

8–عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر – 1925– 1951م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م.

9– مبارك بن محمد الميلي، رسالة مظاهر الشرك، وتحقيق وتعليق أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001م.

10–مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر، ج1، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت .

11–محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم/ وفيات (1897– 2003م) الجزل الأول، (أ – ع) مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض.

12–محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م.

13–محمد الصالح الجابري، المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، ع 102.

14–محمد الصالح رمضان، شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م.

15–محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م.

16–محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921م إلى 1975م، ج3، مطبعة البعث، قسنطينة، ط1، .1978

17–محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص 492.

18 – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، من 1847م إلى 1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1980م.

---

[1]- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث للنشر، دط، 1984م، ص 13.

[2] – ينظر، محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921م إلى 1975م، ج3، مطبعة البعث، قسنطينة، ط1، 1978، ص 16، وينظر رسالة الشرك ص 13.

[3] – مبارك بن محمد الميلي، رسالة مظاهر الشرك، وتحقيق وتعليق أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001م،

[4] – ينظر، محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ص 31–32.

[5] – المرجع نفسه، ص 24.

[6] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مج7، ص 409.

[7] – ينظر، مبارك بن محمد الميلي، رسالة مظاهر الشرك، ص 13. وينظر، محمد الصالح رمضان، شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص 65.

[8] – ينظر، محمد الصالح الجابري، المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، ع 102، ص 30.

[9] – عبد الرحمن الجيلالي: من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي، مجلة الثقافة عدد80، ص 188.

[10] – ينظر، أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ص 14.

[11] – ينظر، مبارك بن محمد الميلي، رسالة مظاهر الشرك، ص 14..

[12] – أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ص 15.

[13] – ينظر، محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص 492.

[14] – ينظر، المرجع نفسه، ص 492.

[15] – ينظر، أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ص 16.

[16] – ينظر، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[17] – ينظر، م ن، ص 17– 18– 19.

[18] – ينظر، محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية، من 1847م إلى 1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1980م، ص 54.

[19] –مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر، ج1، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت ص 11.

[20] – محمد الصالح رمضان، شخصيات ثقافية جزائرية، ص 73.

[21] – مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 18.

[22] – مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 19. ومحمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص 439.

[23] – سورة المائدة، الآية 32.

[24] – أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث للنشر، دط، 1984م، ص 13.

[25] – ينظر، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[26] – مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 20.

[27] – عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر – 1925– 1951م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م، ص 187.

[28] - ينظر، أحمد صاري، شخصيات وقضايا في تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرادية، الجزائر، دط، 2004م، ص 38 - 39

[29] - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 33-34.

30 - علاوة عمارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد3، ديسمبر 2008، ص 96-97.

[31] - ينظر، أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، ص 18.

[32] - ينظر، المرجع نفسه، ص 19-20.

[33] - م ن، ص 19.

[34] - مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 21-22.

[35] - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م ص 54.

[36] - ينظر،المرجع نفسه، ص 60، 62.

[37] - م ن، ص 65، 70

[38] - ينظر، م ن، 65، 73.

[39] - ينظر م ن، ص 83-84.

[40] - ينظر، م ن، ص 85، 86، 90.

[41] - ينظر، محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، ص190، 197، 198.

[42] - ينظر، عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830- 1974، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص 162.

[43] - مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 22.

[44] - إبراهيم أبو اليقظان، مقال بجريدة البصائر، العدد الأول، 1935/12/27م، ص 5.

[45] - مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 28.

[46] - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م، ص 360.

[47] - مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 29.

[48] - ينظر، المصدر نفسه، ص 6.

[49] - ينظر، م ن، ص 6.

[50] - ينظر، محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم/ وفيات (1897- 2003م) الجزل الأول، (أ - ع) مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ص 519.

[51] – ينظر، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثالث، ص 575، وجريدة البصائر، العدد 109، 27 فيفري 1950.

[52] – ينظر، أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ص 19.

[53] – ينظر، مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 21

[54] – ينظر، أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ص 19.

[55] – ينظر، المرجع نفسه، ص 19.

[56] – مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 1.

[57] – المصدر نفسه، ص 54

[58] – ينظر، م ن ص 10..

[59] – م ن، ص 38.

[60] - م ن، ص 109.